حالة الانسانية قبل الاسلام

من الملاحظ فى نزول الديانات والدعوات الالهية أنها كانت تتفق جميعها ومطالب الانسانية وحاجتها القصوى إلى استحداث مبادىء ونظم تكيف بها حياتها وتنمى بها وجودها :

ولقد كانت الديانات فى صميم مبادئها ودعواتها كأنها تترجم عما يكن فى ضمير الانسانية من حب للتقدم والتطور ومن محاولة لاستنقاذ نفسها مما هى فيه من تأخر وانحطاط . ومن سعى واستعداد لتحطيم قيودها التى غلتها بها التقاليد والرجعيات فكانت الديانات تتنزل على بنى البشر مؤرخة فى الحقيقة لنهضاتها وتقدمها وبلوغها مرحلة تستطيع بها أن تهضم وتعى ما تدعوها اليه من آراء ومبادىء وما تفرضها عليها من قوانين ونظم .

والدارس لكل الديانات فى مجموعها تبرز له روعتها ولباقتها فى ذلك لأنها كانت تتنزل متمشية مع تطور الانسانية فى حاضرها ولكنها قاصرة عن الاهتداء اليه والاسترشاد له.

والديانات فى مجملها متفقة على وجود إله يجب أن تدين له الانسانية بالطاعة والانقياد ومتفقة على الدعوة إلى الفعل الصالح وعلى وجود جزاء وعقاب وحياة أخرى سيعاقب فيها المذنب ويجازى المحسن ولكنها مختلفة فى التفاصيل اختلافا بينا عظيما

ومن هنا تدرك شدة حرصها واتفاقها مع مقدار ما استوعبته الانسانية من رصيد المعرفة والادراك . وما تحتاج إليه من اصلاح وتهذيب تهضمه وتعيه وتعمل به وتدرك مقدار خيره ونفعه وصلاحه لها . وعلى ضوء ذلك سندرس حالة الانسانية قبل نزل الاسلام

واذا كانت الديانة الاسلامية ، وهى آخر الأديان المنزلة ـ قد أتت عامة لأبناء الجنس البشرى جميعا وقد حملت فى جوهرها ومبادئها العناصر التى تتفق مع تطور الانسانية جميعها وتعاونها وائتلافها فإنه لا معدى لنا من أن نكشف النقاب عن حالة الأمم التى كانت ظاهرة وسائدة قبل ظهور الاسلام . والتى كانت تؤثر فى غيرها من بنى البشر وتفرض عليهم نظمها وقوانينها وتكيف لهم حياتهم لنرى ان كان التشريع الاسلامى فى جملته وتفاصيله مما تحتاج إليه الانسانية ومما يمكن أن يستخدمه بنو البشر جميعا لا فرق بين أمة أخرى ولا بين جيل ومن يأتى بعده من أجيال لا فرق بين هؤلاء جميعا فى أن يسموبهم هذا التشريع الاسلامى وأن ينظم حياتهم ويحضرها ويجعلها تتسق وتتمشى مع تجدد العمران وتطور الاجيال

وأول ما يتراءى لنا عندما نأخذ فى دراسة البيئة الانسانية قبل ظهور الاسلام أن نتجه فى دراستنا الى دولتى الفرس والروم بجانب دراستنا للأمة العربية التى أنزل فيها هذا التشريع لأن هاتين الدولتين كانتا فى الواقع مؤثرتين فى غيرهما من الأمم والشعوب فارضتين عليهما ماشاءتا من نظم وقوانين

وأول شىء يعن لنا ونحن تجاه دراسة هاتين الدولتين وتجاه ما اكتسبته كل منهما من علوم وقوانين وما برعتا فيه من اختراعات وفنون أن نذكر فضل اليونان عليهما . وفضل الفلسفة اليونانية القديمة التى نعتبرها بحق أصل التفكير البشرى المنظم وجرثومة الفكر الحر المجدد .

هذه الفلسفة القوية الجبارة التى نستطيع أن نتمثلها فى مرحلتين بعيدتين كل منهما عن الأخرى : المرحلة الاولى وكانت فى القرون الخمسة الاولى قبل الميلاد وهى التى فرضت الفلسفة فيها نفسها على الامم فرضاً فكانت تمشى جنبا الى جنب مع غزوات الاسكندر المقدونى البطل اليونانى الشهير وانتصاراته المتوالية حتى أخضع ملوك العالم جميعا وحتى أصبحت الدول جميعها تدين له بالطاعة والانقياد . فكان علماء اليونان فى هذه المرحلة هم أساتذة العالم جميعا دون نزاع . وكانت كل ألوان التفكير البشرى مستمدة فى الحقيقة من فلسفة

هؤلاء العلماء الذين اعتزوا وتميزوا وفرضوا آراءهم فى كنف قائدهم العظيم الذى كان هدفه الأوحد فى كل حروبه وغزواته نشر العلم والفلسفة اليونانية وسيطرتها على العقل الانسانى وحسبك على ذلك مكتبة الأسكندرية وما كانت تحويه من كتب كثيرة هائلة فى مختلف العلوم والفنون

هذه المرحلة الأولى للفلسفة اليونانية وهى التى سيطرت فيها على العقول بحد السيف وبالغزو الحربى هى التى كانت تؤثر فى حياة الفرس والروم وفى حياة غيرهما من الشعوب التى أخذت بقسط من التحضر كل التأثير .

أما فلسفة اليونان فى مرحلتها الثانية فكانت فى النصف الثانى من القرن السادس عشر عندما ذهب مفكروا أوربا وأدباؤها مختارين طائعين نهمين إلى هذه الفلسفة فعبوا منها عبا واعتنقوها وأسرفوا فى اعتناقهم لها غاية الاسراف مما حدثتك عنه فى مقدمة هذا الكتاب .

ولا يعنينا فى هذا الفصل من الكتاب دراسة هذه المرحلة الثانية بقدر ما تعنينا دراسة المرحلة الأولى التى كما قلت كانت مؤثرة فى حياة الفرس والروم وما كان يتبعهما من أمم وشعوب .

ولعل من الواجب علينا قبل أن يمضى بنا القلم أن نلم الماما خاطفة بتاريخ هاتين الدولتين العظيمتين وما تعرضتا له من غزوات سواء أكانت هذه الغزوات حربية أم فكرية . وما كانتا تتخذانه من عقيدة وتؤمنان به من دين .

وإذا ما رجعنا إلى الوراء وولينا وجوهنا شطر هاتين الدولتين العظيمتين اللتين كانتا تسيطران على غيرهما من الأمم والشعوب . أقول إذا ما وجهنا وجوهنا اليهما فى القرن الرابع قبل الميلاد نجدهما كانتا كما قلت متأثرتين غاية التأثر بالفلسفة اليونانية التى غزت العالم كله وسيطرت على العقول سيطرة طاغية وكانت تعززها الانتصارات الحربية التى حمل لواءها الاسكندر المقدونى تلميذ الفيلسوف اليونانى أرسطاطاليس .

وما دمنا سنلم بحالة كل من الفرس والروم قبل ظهور الاسلام فليس لنا مفر من التبسط بعض الشىء فى دراسة التاريخ القديم لكل منهما .

فأما الفرس فالتاريخ يحدثنا عنها أنها دولة عريقة فى الحكم لم تستطع أى دولة من الدول أن تحكمها مدى ثلاثة آلاف سنة قبل ظهور الاسلام اللهم الا بطل اليونان الاسكندر المقدونى الذى ذهب إلى مليكها داريا الثالث فى القرن الرابع قبل الميلاد فثل عرشه وقضى على حكمه قضاء تاما .

هذه الدولة لم يعرف عنها إلا أنها كانت من عبدة الأوثان حتى ظهر فيها زرادشت أثناء العشرة قرون الأولى قبل الميلاد والتى لم يستطع المؤرخون أن يعينوا أى قرن ظهر فيه بالضبط ودعا إلى ديانة جديدة هى المجوسية فاعتنق دينه أفراد كثيرون من الشعب كان منهم ابن الملك وبقى الآخرون من الشعب على دينهم القديم وكان من الطبيعى أن يتصارع الفريقان . وأن يحاول كل منهما الغلبة على الآخر ولكن كان النصر لأتباع زرادشت وذلك بسبب تأييد الملك لهم فانتصروا وتغلبوا على الوثنيين وظلت الفرس مجوسية إلى أن ابتدأ العرب غزواتها فى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب ثم القضاء والسيطرة على بلادها كلها فى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ودخل الاسلام من بابها دخل عظيم خدمه بإخلاص فاجتهد وجدد وكون له مذاهب وآراء غاية فى الروعة والخطورة مثل الامام أبى حنيفة وابن سينا والبخارى والغزالى

هذه الدولة التى اشتهر أهلها وملوكها بالذكاء الحاد والترف المسرف والتى نبغ فيها من الأطباء ومن علماء الفلك ما لم تزاحمها فيه دولة أخرى .

هذه الدولة عندما ندرس حالتها قبيل ظهور الاسلام نجد أن عوامل كثيرة كانت تنخر فى نظامها الاجتماعى وكان تتهيأ للقضاء على كيانها الدولى قضاء تاما لأنها كانت آخذة بنظام الملكية المستبد الاستغلالى الرديء الذى كون طبقة غنية مترفة لها من الحقوق والامتيازات الطائلة الكثيرة مالا سبيل إلى غيرها للتطلع إليه والذى كون طبقة أخرى فقيرة معدمة كانت وقود نار الصدر شديدة المقت للملك وحاشيته ورجال الحكومة وحواريها من الأشراف .

يقول الأستاذ عبد الحميد العبادى فى كتابه صور من التاريخ الاسلامى (ونعود فنقول إن أعمال الناس مزاج من الخير والشر فإذا كانت سياسة

الأكاسرة تنطوى على خبر كثير فانها الأسف كانت تحمل فى ثنا ياها العناصر التى أدت فى النهاية إلى انتقاض أمرهم وضياع ملكهم فإن حملهم الشعب على اعتقاد أنهم يحكمون بتفويض من الله على حسب تصورهم له كان لا بأس به إبان قوة الأسرة الساسانية فلما اضمحلت وعراها الوهن والهرم من بعد كسرى أنو شروان لم يكن ممكنا أن يقوم رجل قوى فينتزع منهم السلطان وينقله إلى أسرة أخرى فتية ناهضة فإذا حدث أن رجلا قويا حدثته نفسه بذلك لقى الخذلان من الشعب على نحو ما حدث لبهرام جوبين فى أواخر القرن السادس ثم ان انتصار الدولة الزراد شتية والمبالغة فى رفع أقدار رجالها قد أدى فى نهاية الأمر إلى قيام طبقة كهنوتية متعصبة مستبدة لا تعرف الرفق بالناس فى مسائل الدين ولا التسامح نحو أهل الديانات الأخرى الذين كان منهم بإيران خلق كثير .

ثم إن التمسك بنظام الأسرة والملكية على النحو الذى كان عليه دون تعديل يطابق الظروف أدى إلى قيام طبقة أرستقراطية قليلة العدد واسعة الثروة كثيرة الامتيازات كما قسم الشعب طبقات متحاجزة تحاجزاً تاما أوغر قلوب الناس بعضهم على بعض . والواقع أن شيوعية مزدك إنما كانت احتجاجاً صارخا على ذلك النظام بصورته التى أصبح عليها فى القرن السادس الميلادى .

وكان اجتماع هذه العوامل فى نهاية القرن السادس مما أوقع الدولة فى الفوضى والارتباك وهى فوضى يكفى للتدليل عليها أن اثنى عشر ملكا جلسو على سرير الملك فيما بين عامى ٦٢٨ ، ٦٣٢ أى فى نحو أربع سنوات ومن الاتفاقات العجيبة أنه فى تلك السنوات عينها أخذ العرب يخرجون من جزيرتهم غزاة فاتحين فلم يقو صرح الأكاسرة المتداعى على صدماتهم العنيفة فى ميادين القادسية وجولاء ونهاوند . وقضى آخر الأكاسرة وهو يزدجرد بن شهريار بقية أيامه شريداً مطروداً إلى أن اغتيل على يد رجل من أحقر رعيته عند مدينة مرو عام ٣١ هـ (٦٥١ م) فذهب بمصرعه على هذه الصورة المؤلمة مثلا واضحاً لجمود العامة وغرور الحياة .

أما الدولة الثانية وهى الدولة الرومانية فقد تأثرت أيضا فى تاريخها القديم بالفلسفة اليونانية التى حملها الإسكندر المقدونى فى كل حروبه وغزواته التى لم يكن الغرض منها استعباد الشعوب والسيطرة عليها بقدر ما كان يهدف اليه من نشر الفلسفة اليونانية وفرضها على الناس لتثقيفهم وتحضيرهم . ولقد تجلت روعة الفلسفة اليونانية فى روما فازدهرت ايما إزدهار وتأثر منها بنوها وأثروا فيها غاية التأثير ، وبفضلها قويت روما ونهضت وكونت امبراطورية ضخمة حتى قضت على استقلال اليونان وأدمجتها فى امبراطوريتها ادماجاً إلى أن أغارت عليها الأمم المتبربرة من ناحية . وغزاها المسيحيون من ناحية أخرى فكان ذلك إيذانا بأفول نجم هذه الحضارة الرومانية اليونانية الأصل لما فيها من وثنية ومن نظم كثيرة كنظام الطبقات ونظام الاستغلال الرخيص غير المشروع وكنظام الرق الذى كان عماد الاقتصاد الرومانى مما يتنافى ذلك كله ومبادىء المسيحية التى جاءت تدعو إلى المساواة والمحبة والسلام .

والتاريخ القديم لروما ينبئنا بأنها أسست دولتها فى القرن الثامن قبل الميلاد وكانت ديانتها الصابئة وظلت محافظة على هذه الديانة إلى أن ظهرت المسيحية واعتنقها أفراد من بنى إسرائيل وتسربت منهم إلى روما فآمن بها أول الأمر أفراد قليلون كانت تضطهدهم الحكومة وتنكل لهم العذاب ألوانا ولكن ذلك لم يصرفهم عن عقيدتهم حتى إذا جاء القرن الرابع الميلادى وكثر اتباع المسيحية كثرة ساحقة حملت (قسطنطين) امبراطور روما فى ذلك الحين على أن يتبع هذه الكثرة الساحقة ويعلن المسيحية دينا رسمياً للدولة ثم جاء بعده الامبراطور (ثيودوسيوس) فحمل الشعب على اعتناقها بالحديد والنار وكانت قد أصبحت كل من الإمم المجاورة لروما مسيحية كمصر والشام وروسيا وغيرهم . وبذلك عادت روما إلى مجدها القديم وأصبحت هى العالم كله يحكمها قياصرة ذوو قوة وبأس وفخامة .

والمهم هو أن نعرف أن الدولة الرومانية ظلت مخلصة للفلسفة اليونانية متأثرة بها مؤثرة فيها محافظة عليها إلى أن أخذها منها العرب وأنقذوها من غارات

الأمم المتبربرة من ناحية ومن انتصار المسيحية عليها من ناحية خرى .

هذا هو تاريخ روما القديم فى اختصار حتى سيادة المسيحية عليها فى القرن الرابع الميـــلادى .

وإذا كانت روما فى تاريخها القديم قد فاقت غيرها من الأمم فى الحنكة السياسية وقد برعت أيما براعة فى نظم الحكم وفى وضع القوانين حتى أثر عنها القانون الرومانى الذى ما زال مؤثراً حتى الآن فى حضارة العالم أجمع فإنها فى عهدها المسيحى قد حاولت أن تلون القانون بهذا الدين الجديد الذى اعتنقته ، وقد نجحت فى ذلك إلى حد ما بفضل عبقرية بابها وبفضل عدم تدخل الكنيسة فى أمور الدولة فى ذلك الوقت . ولكن بعد أن قويت الكنيسة ووطدت مكانها استغل رجالها ضعف الأمبراطوريات المتعاقبة فكانوا يتدخلون فى كل شىء ويرسمون القواعد للناس وللحكومات فى كل شأن من شئون الحياة وأصبح البابا يلقب نفسه بخليفة الله فى الأرض وأن الأمبراطور وحكومته والناس جميعـــا هم رعاياه .

يقول الدكتور محمود سامى جنينه فى كتابه (القانون الدولى العام) صفحة ٥٦ - ٥٧ (على أن الواقع أن الدين المسيحى كان من طريق آخر عقبة فى سبيل نمو قواعد القانون الدولى العام) (أولا) لأن الرابطة التى كان يخلقها هذا القانون دينية قاصرة على الدول المسيحية ويخرج بذلك شطر كبير من أعضاء العائلة الدولية وهم الدول غير المسيحية (ثانيا) لأن روح السيادة العالمية كانت متسلطة على الكنيسة فكانت تتدخل فى شئون الدول الخارجية منها والداخلية ومثل هذه السيادة العالمية تتنافى مع استقلال الدول ومساواتها وإذن تتنافى مع وجود القانون الدولى العام فى شكله الحديث .

ويقول على ماهر بك (باشا الآن) فى كتابه القانون الدولى العام صفحة ٥٩ - ٦٠ (استخدم البابا نشاطه الدينى العظيم للتحكم فى تيجان الملوك والأمراء حتى أن هنرى الرابع ملك الرومانيين الذى توج أمبراطوراً وهو أقوى ملوك المسيحيين بأساً ذهب ذليلا خاضعاً إلى (كانوسا) سنة ١٠٧٧م لاستعطاف البابا

(جريجوار) السابع واسترضائه لما أنذره البابا بأنه إذا لم يحضر إلى روما للتوبة عن خطاياه وعن سوء حكمه خلعه .

هذا الاذلال الذى بقى فيه هنرى الرابع فى الثلوج عارى القدمين فى فناء محكمة (الكونتس ما تلدا) بالقرب من ريجيو فى جبال أبنين منتظراً إذن القسيس بالدخول إليه ليغفر له ذنوبه لم يبق بعده هيبة للتاج ولم يتسن بعده للامبراطور أن يدعى أنه الرئيس الأعلى فى العالم ولا أنه غير مسئول إلا أمام الله وعلى الضد من ذلك أدعى البابا النيابة عن الله فى الأرض وافرد السلطة الروحية بالسلطان كما ادعى أن الجنس الإنسانى رعاياه ، وأن الملوك مسئولون أمامه، وأن له خلعهم لأنه هو الذى يوجههم» انتهى

وان الدارس لهذه الفترة من سيادة المسيحية وهى التى ابتدأت من القرون الوسطى إلى نهايتها ليتملكه العجب وتملأه الدهشة لأن رجال الكنيسة كانوا يفرضون سلطانهم الأوتقراطى على الشعوب والأمم وكانوا يتخذون لذلك من ألوان العذاب و لاضطهاد والطغيان ما لم يحدث فى تاريخ البشر على الاطلاق فكانوا يفرضون رقابة شديدة على حياة الناس وعلى أفكارهم وعقولهم وحسبك على ذلك أن تقرأ التاريخ الاسود لمحاكم التفتيش هذا التاريخ الذى يحمل لك بطش الكنيسة وبشاعتها وتعنتها وأنها كانت حجر عثرة فى سبيل التقدم الانسانى وفى القضاء على كل نزعة حرة تجديدية من غير تروٍ ولا شفقة وبوسائل غاية فى الوحشية والجهالة والظلم حتى كان من ضحاياها العالم الفلكى (جوليليو) الذى حكمت عليه محكمة التفتيش بأن تحرق جثته وهو حى لما نادى بدوران الأرض وكان ذلك كله باسم الديانة المسيحية التى من أول مبادئها الصفح والرحمة والمغفرة والإيثار (وإذا ضربك أخوك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر).

هذا الاضطهاد المروع الذى كان يلاقيه البشر ويلاقيه بنوع خاص العلماء والفلاسفة الأحرار مما يتنافى مع المسيحية الحقة ومع أى دين سماوى آخر هو الذى كان من العوامل التى أخرت المعرفة الأنسانية وكادت تقضى على المدنية البشرية وكان العالم كقطيع من الأغنام يساق سوقاً دون اعتراض ولا إدراك وظهرت

الكهنوتية المسيحية بشكلها الاستغلالى الجبار وأصبح كل قسيس من رجال الكنيسة ينادى بأنه ممثل الله فى الأرض بيده السلطة للتوبة وغفران الذنوب وبيده منح الثواب والسعادة فى الآخرة واضحت هذه السلطة فى يده كتجارة رابحة يستكثر بها الأموال ويقتنى القصور والضياع ويعيش فى ترف ولذة واشباع لشهواته النهمة الجامحة رغم ما كان يقاسيه رعاياه من ظلم وفقر وجهالة وما كان يسود حياتهم وعقولهم من انحطاط وظلام .

وإذا ما تعمق الباحث فى الأسباب التى كونت هذه السلطة فى أيدى رجال الكنيسة وفى خضوع الحكام لهم وموافقتهم على كل ما يتلون من أوامر وما يصدرون من أحكام إذا ما فكر الباحث وتعمق فى ذلك يجد أن الدين المسيحى لم يتعرض لا فى جملته ولا تفاصيله لرسم نظم ولا قوانين ولا حدود لشئون الناس يقفون عندها ويحكمونها فيما ينشأ بينهم من اختلافات ثم شىء آخر وهو هذا النظام الكهنوتى الذى اصطنعته المسيحية وهو الواسطة بين الله وبين مخلوقاته من ذلك نشأ استبداد رجال الكنيسة ونشأ معه اضمحلال المعرفة الانسانية فى شتى فروعها .

هذه هى حالة الفرس وحالة الروم قبيل ظهور الاسلام بل هذه هى حالة الانسانية كلها لأن هاتين الدولتين كانتا فى الواقع الممثلتين للعالم الانسانى جميعه بحكم ما كونته كل منهما من تراث مجيد وما اكتسبته من حضاره تأثر بها غيرهما من الأمم والشعوب .

والذى يعنينا الآن أن ننظر اليهما فى هذه المرحلة التى ذكرناها والتى سبقت ظهور الاسلام .

أن ننظر اليهما فاحصين متدبرين سائلين : هل ما كان يسود الدولة الأولى من فقر فى الاخلاق ومن انعدام للعدالة الاجتماعية والعدالة القانونية مما يتفق ومصلحة الانسان وهل ما كان يسود الدولة الأخرى من هذا النظام الكهنوتى الذى يخلق الطبقات خلقا ويشجعها وينميها ويجعل بين الانسان وبين خالقه واسطة . يجب أن يعترف لها بالخطايا وأن يطلب منها هى العفو والتوبة

والمخفرة ... ! هـذا النظـام الكهنوتى الذى فهمته الدولة الرومانية أسوأ فهم . والذى استخدمته الكنيسة أشنع استخدام حتى كان وسيلة كما قامت للتجارة وللربح الرخيص .

هل هذا أيضا مما كان يتفق مع تحضر الانسان وتطوره وأخذه بحظ يذكر من نضوج العقل وتفتح البصيرة وقوة الإدراك .

اللهم لا . واللهم إن الانسانية كانت فى أمس الحاجة إلى هذه المبادىء والنظم وقواعد الأخلاق التى حملها الاسلام للعالم فقومت من أخلاقه وقوت من بذور التقدم والتحضر فيه .

إننا عندما نذهب فى دراستنا إلى الجزيرة العربية ونعلم أى حياة كان يعيشها العرب من جهالة وكسل وخمول لا دولة تربطهم ولا قانون ينظم حياتهم ويخضعون له فى معاملة بعضهم بعضا اللهم إلا تقاليد قبائلهم المتنافرة المتنابذة المتخاصمة لأوهى سبب من الأسباب

هؤلاء القوم الضاربون فى هذه الصحراء القاحلة الجدباء والذين كانوا ذا نعرة جاهلية وذا عصبية متعصبة لتقاليدهم وما كانوا عليه من بداوة وتأخر وانحطاط كيف استطاع الإسلام أن يغزو قلوبهم ويسيطر عليها . وأن يجعل منهم هداة ومرشدين ومحضرين للعالم أجمع ومرتفعين به إلى أسمى مراتب التقدم والتمدين ان لم تكن فيه عناصر قوة وعناصر حق وعناصر تقدم وصلاح .

يقول الفيلسوف الأنجليزى توماس كارليل .

« إن فى الإسلام خلة أراها من أشرف الخلال وأحبها وهى المساواة بين الناس أمام الدين .

والإسلام لا يكتفى بجعل الصدقة سنة محبوبة بل يجعلها فرضا على كل مسلم وقاعدة من قواعد الإسلام ويقدرها بالنسبة إلى ثروة الرجل فتكون جزءا من أربعين من الثروة تعطى للفقراء والمنكوبين والمساكين .

وما هذا إلا صوت الانسانية . صوت الرحمة والاخاء يصدر من فؤاد ذلك الرجل ابن الصحراء »

ويتحدث فى موضع آخر عن أثر الإسلام فى حياة العرب .

« لقد أخرج الله العرب بالإسلام من الظلمات إلى النور فقد كانت فئة من جوالة الأعراب تجوب الفلاة منذ بدء العالم لا يسمع لها صوت ولا تحس منها حركة فأرسل الله هذا النبي برسالة من عنده فإذا الخمول قد استحال شهرة . والغموض نباهة . والضعف قوة وما هو إلا قرن بعد هذا الحادث حتى اصبحت لدولة العرب قدم فى الهند وقدم فى الأندلس وأشرقت دولة الاسلام قرونا طويلة على نصف المعمورة » انتهى

وهكذا نحب أن نتعرض هنا بعض الشيء لدراسة مبادىء الاسلام مما يحتاجه هذا الفصل من الكتاب لنبرهن على أن الانسانية كانت مفتقرة الى هذه المبادىء وكانت فى حاجة شديدة ملحة الى من يحملها اليها ويرشدها عنها .

وأول شيء يبرز لنا من هذه المبادىء التى كانت الانسانية متلهفة عليها المساواه بين الناس كافة فى الحقوق والواجبات والتقارب والتآلف بين أفراد الانسانية جميعا . يقول القرآن الكريم (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم) ويقول رسول الاسلام (لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى) ثم يقول مرة أخرى (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)

أنظر معى الى هذا المبدأ الذى نادى به الاسلام ثم أنظر الى ما كان يكتنف الانسانية ولا أقول فى عهود انحطاطها وجهالتها . وانما فى العهود التى بلغت فيها شأوا كبيرا فى المعرفة والادراك . أنظر الى ما كان يسودها من حب للسيطرة والإستعبـــاد . والتسخير لأفراد من البشر بدعـــوى أن ذلك مما يقره الله ويدعوهم اليه .

يقول على ماهر فى كتابه سالف الذكر (القانون الدولى العام) صفحة ٥٥ كان ارسطو يرى أن الخالق أوجد البرابرة لأن يكونوا أرقاء ويعد من

الأعمال الشريفة محاربتهم لسلب ثروتهم واسترقاقهم فغير اليونانيين اعداء خوارج على القانون . اخضاعهم واجب سياسى على اليونان لذلك كانوا فى حروبهم معهم غاية فى الخشونة والوحشية فإذا انتصروا قتلوا الجنود المهزومة وضربوا المدن واسترقوا سكانها)

ثم يقول فى صفحة ٥٧

(كان القانون الرومانى هو الذى يحدد حقوق الأمم المغلوبة وواجباتها وكانت سياسة مجلس الشيوخ نحو الدول الأخرى قاسية وكانت الحروب كلها للإستعباد والفتح لبسط السيادة على العالم ولما كانت سياسة المملكة الرومانية لا تلائمها علاقات دولية سلمية كان عدم وجود قانون دولى مسببا عن الوجهة السياسية الرومانية لا عن عجز النظريات العلمية فان فقهاء الرومان الخالدين أمثال (بابينيان . وأولبيان . وأفريكان) الذين وضعوا القانون المدنى المستمدة منه الشرائع الحديثة لم يكن من المتعذر عليهم أن يضعوا قواعد القانون الدولى العام اذا كان ذلك لا يتنافى مع فكرتهم فى سيادة العالم المعروف كله) انتهى

نقابل ذلك بما حمله الاسلام للعالم من المساواة المطلقة بينه وبين بنيه فكان المسلمون اذا ما فتحوا بلداً خيروا أبناءه بين أن يعبدوا الله ويتبعوا رسوله الكريم ويسيروا على تعاليمه السامية وما رسمه لهم من مثل عليا فمن نطق بالشهادتين وأسلم واتبع الهدى فله كل الحقوق التى للمسلم وعليه كل الواجبات أما من تخلف فليس عليه الا أن يدفع الجزية لبيت مال المسلمين وهو آمن على ماله مطمئن على حياته وزوجه وأولاده فى كنف الحكومة الاسلامية .

ولعل أبلغ مثل لما كان يلقاه غير المسلمين من رعاية لحقوقهم ومن عدل لقضاياهم ما حدث فى عهد الخليفه الثانى عمر بن الخطاب فلقد تسابق ابن والى مصر عمرو بن العاص مع ابن قبطى من أهل مصر فسبقه ابن القبطى فاغتاظ ابن عمرو وضرب ابن القبطى بالسوط وقال له أنا ابن الأكرمين فنمى الخبر الى عمر بن الخطاب فأرسل فى طلب عمرو وابنه ثم أتى بالسوط وأعطاه لابن القبطى وقال اضرب به ابن الأكرمين ثم التفت الى عمرو وقال كلمته المأثورة

(متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً)

ثم انتظر معى قليلا أزيدك شيئا من هذه السماحة ومن هذه الروعة والقوة في المساواة التى حملها الاسلام للناس.

شكا يهودى على بن أبى طالب إلى عمر فى خلافته فلما مثلا بين يدى أمير المؤمنين نظر إلى على وقال له : أجلس يا أبا الحسن . فظهرت آثار الغضب على أسارير وجه على فقال له عمر : أكرهت ياعلى أن يكون خصمك يهوديا وأن تمثل وإياه أمام القضاء فقال على : لا ولكنى غضبت لأنك لم تسو بينى وبينه بأن كنيتنى فقلت يا أبا الحسن (والتكنية التعظيم)

وانتظر معى مرة أخرى أروى لك هذا الحدث الفذ .

تقاول أبو ذر الغفارى وعبد زنجى فى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم فاحتد عليه أبو ذر وقال له: يابن السوداء . فغضب رسول الله صلى عليه وسلم وقال «طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى أو بعمل صالح » فوضع عند ذاك أبو ذر خده على الأرض وقال للأسود قم فطأ على خدى وذلك تكفيراً عن ذنبه .

ليحدثنا أحد هل هناك مثل عليا للمساواة والعدالة الانسانية أبلغ وأنبل وأروع من ذلك ، وهل هذه الصفات من الفضائل والأخلاق التى أكسبها الاسلام لأبنائه وحملوها هم ليبثوها فى كل مصر من الأمصار أو قطر من الأقطار يفتحونه مما كانت تحتاجه الانسانية وتحتضنه وترتمى عليه أم تنكره وتفر منه

ثم أنظر الى ماكان يسود المجتمع الانسانى من هذا النظام الذى حملته الديانة المسيحية والذى كان آخذاً بخناق الانسانية يكاد يقتلها ويجعلها تلفظ نفسها الأخير وهو نظام الثيوقراطية الذى يخول للقسس والرهبان السلطة فى فرض الأوامر والنواهى لأنهم الممثلون لله فى الأرض أنظر الى هذا النظام الذى كان ينكر ويقتل روح الاباء والشمم والقدرة والامل فى الانسان وما يقابل ذلك فى الاسلام من أن يقول الله فى كتابه الكريم « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى» ثم يخاطب نبيه المرسل وحامل رسالته الى البشر بقوله « إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » ويقول فى موضع آخر

« فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » ثم يأمره بقوله « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » — « أدع إلى سبيل ربك بالحكمه والموعظه الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن »

وعن أبى هريرة قال :—

« قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله « وأنذر عشيرتك الأقربين » قال يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئاً . يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا ويا فاطمة بنت محمد سلينى ما شئت من مالى لا أغنى عنك من الله شيئا »

ومع ذلك فلن نكتفى بهذا وانما سننقل لك فصلا كاملا يصور حالة الانسانية قبل ظهور الاسلام كتبه فيلسوف فرنسى هو المسيو جول لا بوم لترى الى أى حد كيف كانت الانسانية متعطشة الى مبادى الاسلام ونظمه وتعاليمه ولترى الى أى حد كيف كان الاسلام عاملا من عوامل التقدم والارتقاء للأمم التى استظلت به أو استمدت منه أعظم عناصر قوتها ونهوضها .

قال المسيو جول لا بوم :—

«١» حوالى ميلاد محمد فى القرن السادس الميلادى كان جو العالم ملبدا بغيوم الاضطرابات والفتن فكان شعب « الويزيغو » الآريين فى أسبانيا وفرنسا يصاولون الملك « كلوفيس » وأولاده الكاثوليكيين فكانوا من أجل ذلك يطلبون مساعدة امبراطور مملكة الرومان الشرقية المدعو « جوستنيان » ثم اجبروا الى الدخول معه فى حرب جديدة تخلصا من سلطة القواد الذين جاءوهم بتلك المساعدة . فقد كانوا يزعمون أن لهم حق الفاتحين لا مجرد ولاء المساعدين المأجورين .

« أما فى فرنسا نفسها فكان أولاد كلوفيس هذا متغادرين متسافكين كانت الحروب التى شبت بين المملكة الويزيغوتية (برنهو) والمملكة الفرنكية

---

(١) ترجمة الكاتب الفيلسوف الأستاذ محمد فريد وجدى .

(فريد يخوند) تهيء للتاريخ أشد الصحائف اثارة للأسى والكمد .

« أما فى انجلترا فكان الانجلو ينازعون الساكسونيين الأرض التى احتلوها واستعبدوا فيها ذرية (كيمبريس) وهم أقدم المغيريد على تلك الجزيرة التى تتطلع اليوم للوقوف فى مقدمة الأمم علما وصناعة وقوة. وهى التى كانت فى ذلك العهد مجالا للقوة الوحشيه السائدة فى تلك الغياهب الحالكة .

« أما فى ايطاليا فكان اسم الرومان . وهو ذاك الاسم الشامخ قد فقد قيمته القديمة وكانت رومية وهى الشطية الأخيرة أو رأس ذلك التمثال الكبير المتهشم (يعنى مملكة الرومان) فى حالة تململها من استحالة أمرها الى مركز دينى بسيط ترتج وتضطرب كلما ألم بها طائف من ذكر عظمتها القديمة أيام كانت مركزاً دينيا أصليا . فكانت تهيء نفسها لأن تكون مركز البابوية وهى تلك السلطة الزمنية كما اقتضت سياسة « شرلمانى » أن يجعلها كذلك بعد قرنين من الزمان ولكنها مع ذلك لم يسعها الا حمل نير « الهير وليين » و « الاستروغوتيين » وبراطرة المملكة الرومانية واللومبارديين الذين تداولوا السلطة عليها تداولا .

« أما المملكة اليونانية فكانت قد نسيت مجدها القديم فصارت تابعة لمملكة الرومانيين الشرقية. مثلها منها كمثل الزينة ذات الضوضاء . وكان شرق أوربا مقلقا جنوبها من أول مصاب نهر الرين من جهة الشرق فكان الأسكندينافيون والنورفيجيون والدانيماركيون يتزاحمون فى الطريق الذى سلكه الغوتيون والهونيون الذين احتلوا تراقيا ومقدونيا ولومبارديا وإيطاليا سواء بالقوة أو بالخديعة .

« فى ذلك الوقت بدأ ظهور الأتراك من أعماق آسيا الصغرى وهى تلك الأمة التى قصرت فيما بعد مملكة اليونان على أسوار القسطنطينية »

التصوير البديع الذى جادت به قريحة المسيو رينان ليبان عن مركز الامبراطورية الرومانية فى القرن الأول من التاريخ المسيحى لا علاقة له بالتصوير الممكن عمله لتجلية حال أوربا فى القرن السادس. تلك كانت مفاسد قيصرية مختمرة أما هذه فوحشية حربية تلعب بالأرواح وتتمرغ فى الأوحال .

« أما آسيا فلم تكن أهدأ بالا من أوربا فى شىء فمملكة تيبت والهند التى اقتبست منها الأمم السائدة فى أوربا الآن قرائحها وأفكارها العامة ولغاتها . والصين التى تعد مسألتها أغرب المسائل السياسية والفلسفية وبالاختصار أغرب المسائل الاجتماعية كانت هذه الممالك كلها متمزقة الاحشاء بالحروب الداخلية والخارجية المتضاعفة بالمنازعات الدينية .

« أما السفح الشمالى من الهضبة الآسيوية العالية التى هى فى حوزة الروسيا الآن فكانت غير معروفة على الاطلاق »

« أما مملكة الفرس التى كانت أحوالها مرتبطة بأحوال الغرب وبخاصة من لدن تجريدة الاسكندر المقدونى فكانت مشتبكة فى حرب مع اليونان الرومانيين فى القسطنطينية الذين كانوا أصحاب السلطة على آسيا الغربية »

« أما فى أفريقيا فكان دخلاء اليونان الرومانيين أنفسهم وهم أخلاط من جنود وتجار وحكام مجموعون من آفاق مختلفة دائبين على امتصاص دم مصر وعاملين على جعل مصر العلمية ذات المجد القديم كالجثة المصبرة عادمة الحس والحراك . وكان هذا شأنهم أيضا فى الأقاليم الخصبة وقتئذ الواقعة فى الجهات الشمالية من أفريقيا التى انتزعوها من أيدى الفنداليين »

« الخلاصة كان جو العالم الأرضى متلبداً بسحب الاضطرابات الوحشية فى كل مكان . وكان اعتماد الناس على وسائل الشر أكثر من اعتمادهم على وسائل الخير وكان أجمع الرؤساء للثقة والطاعة أشدهم صيحة فى إصلاء نيران الحروب والمعارك ولم يكن يأخذ بعواطف القلوب ولا يؤثر عليها تأثيراً حاداً وإن كان وقتيا الا شىء واحد هو الغنيمة وسلب الأمم والشعوب والمدائن والأعيان ورجال الحروب وفقراء الحرائين بسطاء والمتسولين ولولا شعاع ضئيل من الحكمة كان يتألق فى بعض صوامع الكهنة ، وبعض الجراثيم الفلسفية التى كانت بمعزل عن أعاصير تلك المشاغب وانتقلت من روح إلى روح أخرى بوساطة بعض أصحاب الجرأة من رسل الرقى فى المستقبل لكانت البربرية أسرعت فى خطاها مقودة بغطرسة زعماء الهمجية واستحالت الى وحشية محضة

« مع هذا كله كان هنالك ركن من أركان الأرض لم تصبه لفحة من هذه الحركة . ولكن لم يكن ذلك لحكمة أهله ورجاحة عقولهم وإنما كان بسبب موقعهم الجغرافى البعيد عن مضطرب الأمم التى كان يقال أنها متمدينة .

ذلك الركن هو شبه جزيرة العرب التى ما كانت تسمع إنفجار أعاصير تلك الفتن الهائلة فى أوربا إلا من بعد وما كان يصلها ذلك اللغط إلا غاية فى الضعف والضئولة . وكانت تجهل وجود الهند والصين فلم تلك تتعدى علاقاتها مع آسيا حدود بلاد الفرس ولم تعرف لديها الفرس إلا من أخبار الإنتصارات والهزائم التى كان من ورائها رد بعض الوديان الغربية القريبة من روسيا إلى تبعية امبراطورة القسطنطينية تبعية إسمية أو رفع نير تلك التبعية الإسمية عنها . على أن ذلك الوادى الأخير كان يهم بلاد العرب جداً لأن أبناءها كانوا يذهبون إليه للتجارة ، وكان لها فيه أبناء استعمروا الشـــاطىء الغربى من نهر الفرات وصعدوا يسيراً يسيراً إلى بحر قزوين ومما يشبه المساتير الدينية أنها بقيت منفصلة عن مصر التى أغار على جنوبها العرب الرعاة ولم ينجلوا عنها تماما إلا بعـــد أن انجلى عنها بعض إخوانهم المتأخرين وهم الاسرائيليون تحت قيادة موسى حينما استرد المصريون السلطة وعاملوهم معاملة البهائم .

« أما المملكة الوحيدة التى كان بينها وبين العرب صلة وعلاقة فهى بلاد الحبشة . أما الجهة الشمالية من أفريقيا التى أغاروا عليها مرتين والتى كانت بجانبهم نقطة النزاع بين الرومانيين والقرطاجنيين وبين يونان القسطنطينية والفنداليين . فكانوا لا يحلمون بوجودها »

ثم قال المسيو (كوسان دوبرسو) قال فى كتابه تاريخ العرب :-

« إن المتحضرين من عرب البحرين والعراق كانوا خاضعين للفارسيين أما المبتدون منهم فكانوا فى الواقع أحراراً لا سلطة لأحد عليهم وكان عرب سورية دائنين للرومان . أما قبائل العرب الوسطى والحجاز الذين ساد عليهم التبابعة وهم ملوك بنى حمير سيادة وقتية فكانت تعتبر أنها تحت سيادة ملوك الفرس ولكنها فى الواقع كانت متمتعة بالاستقلال الكامل »

ثم تابع المسيو جول لابوم القول فقال : (ولم يكن العرب أحسن استعداداً من غيرهم لقبول أى دين من الأديان قال المسيو (دوزى) فى كتابه تاريخ عرب أسبانيا : « كان يوجد على عهد محمد فى بلاد العرب ثلاث ديانات : الموسوية . والعيسوية . والوثنية . فكان اليهود من بين أتباع هذه الأديان أشد تمسكا بدينهم وأكثرهم حقداً على مخالفى ملتهم. نعم يندر أن تصادف اضطهادات دينية فى تاريخ العرب الأقدمين وما وجد منه فمنسوب إلى اليهود وحدهم . أما النصرانية فلم يكن لها أتباع كثيرون . وكان المتمذهبون بها لا يعرفونها إلا معرفة سطحية . وكانت هذه الديانة تحتوى على كثير من الخوارق والأسرار بحيث يعز أن تسرد على شعب حى كثير الاستهزاء . أما الوثنيون الذين كانوا هم السواد الأعظم من الأمة فكان لكل قبيلة بل وأسرة منهم آلهة خاصة والذين كانوا يصدقون بوجود الله تعالى ويعتبرون تلك الآلهة شفعاء فقد كانوا يحترمون كهانهم وأصنامهم بعض الاحترام ولكنهم مع ذلك كانوا يقتلون الكهان إذا لم يتحقق أخبارهم بالمغيبات أولو عولوا على فضحهم عند الأصنام قربوا لها ظبية بعد أن ندروا لها نعجة وكانوا يسبون أصنامهم إذا لم تنلهم مطالبهم ولم تسعفهم بآمالهم »

وقال المسيو (كوسان دوبرسو) قال : « من العرب من كانوا يعبدون الكواكب وبخاصة الشمس فكنانة كانت تدين للقمر وللدبران وبنو لخم وجرهم كانوا يسجدون للمشترى وكان الأطفال من بنى عقد يدينون لعطارد وبنو طىء ألهوا سهيلا وكان بنو قيس عيلان يتوجهون للشعرى اليمانية وكان علمهم بما وراء الطبيعة على نسبة آرائهم الدينية »

وقال المسيو كوسان المذكور أيضاً « كان من العرب من يعتقد بفناء الانسان إذا خلعته المنون من هذا العالم . ومنهم من كان يعتقد بالنشور فى حياة بعد هذه الحياة . فكان هؤلاء الأخيرون إذا مات أحد أقربائهم يذبحون على قبره ناقة أو يربطونها ثم يدعونها تموت جوعا معتقدين أن الروح لما تنفصل من الجسد تتشكل بصورة طير يسمونه الهامة أو الصدى وهو نوع من البوم لا

تبرح ترفرف بجانب قبر الميت نائحة مساجعة تانيه بأخبار أولاده . فإذا كان الفقيد قتيلا تصيح صداه قائلة (اسقونى) . ولا تزال تردد هذه الكلمة حتى ينتقم له أهله من قاتله بسفك دمه »

قال المسيو لا بوم بعد إراده هاتين العبارتين عن الأستاذين المذكورين « وكانت طباع العرب وأخلاقهم لا تدل الناظر إليها إلا على أنهم شعب لا يكادون يجوزون العقبة الأولى من عقبات الإجتماع . لو لم تكن الأسرة عندهم بل والقبيلة تهتم إهتماماً عظيما بحفظ سلسلة نسبها ولو لم يكن إدراكهم للقوانين وسعة لغتهم داعياً إلى الإلتفات بنوع خاص »

ثم قال :- قال المؤلف المحقق الذى اقتبسنا منه أكثر هذه التفصيلات المتقدمة « كان العرب مغرمين بشرب الخمر ويوجد من الشعر ما يدل على أنهم كانوا يفخرون ويعجبون به وبلعب الميسر وكان من عوائدهم أن الرجل له أن يتزوج ما تسمح له به وسائله المعيشية . وكان له أن يطلقهن متى شاء هواه . وكانت الأرملة تعتبر من ضمن ميراث زوجها . ومن هنا نشأت تلك الإرتباطات الزوجية بين أولاد الزوج ونساء الأب وقد حرم ذلك الإسلام وعده زواجاً ممقوتاً . وكان لديهم عادة أفظع من كل ما مر وأشد معارضة للطبيعة وهى وأد الأهل لبناتهم أى دفنهم أحياء »

« هذا كله لا يشير إلى أن العرب لم يكن فيهم أى جرثومة خلقية صالحة يمكن تقويمها وتهذيبها فقد كانوا يحبون الحرية حباً جماً ويمارسون فعائل الكرم وبذل القرى »

« الأفراد الذين كانوا تابعين لأمم أرقى من الأمة العربية والذين كانوا مبعثرين هنا وهناك من جزيرة العرب كانوا قليلى العدد جداً ولا يظهر أنهم كافوا أنفسهم الدعوة إلى مللهم فاليهود الذين كانوا متشبعين بالأثرة على مثال الصينيين واليابانيين والمصريين لا يرى منهم إلى اليوم خاصة التأثير على غيرهم إلا بالخضوع لقوانين الأمة التى يشتغلون تحت ظل حمايتها بالأمور المالية ولئن شوهد أنهم أدخلوا إلى ملتهم بعض العرب فلم يك ذلك إلا نتيجة بسيطة لاشتراكهم فى

الأساطير التاريخية وهو إشتراك يدل على قرابة قريبة بين الأمتين تلك القرابة يستدل عليها أيضا بتساويهم فى حب الكسب وتآزيهم فى الاستعداد لعدم الأنفة من سلوك أى طريق من الحيل والمكر لنيل كسب أو حطام ولا ينتظر أن يكون من نتيجة الاجتماع بهذه الاعتبارات أدنى ترق أدبى أما المسيحيون فكانوا يغذون شيئا فشيئا إلى بلاد العرب هربا من الاضطهادات الدينية التى كانت فى المملكة الرومانية . ولكن لم يكن فى حالهم نور يلفت البصر تألقه وفى حالة مسيحى الحبشة اليوم نموذج لذلك . فإنه لا يمكن أن يتحلى الانسان بمدركات العقائد السامية من دين بمجرد التسليم بنص تلك العقائد .

« فى عهد هذه الأحوال الحالكة . وفى وسط هذا الجيل الشديد الوطأة ولد محمد بن عبد الله فى ٢٩ أغسطس سنة ٥٧٠ م » إنتهى

وهكذا يرجع الباحث إلى التاريخ . وإلى مراحل التطور البشرى فيجد شهادة صادقة على معجزة هذا الدين وعبقريته وما كان يحمله من بذور التقدم وعناصر الحيوية والتحضر والارتقاء .

بل هكذا يرجع الباحث إلى المنطق وإلى العقل فيجد أن هذا الدين كان من ألزم اللوازم للإنسانية بعد ما بلغته من وعى وإدراك . وأنه فى مبادئه وقواعده وتشاريعه كان يخاطب العقل والمنطق . وكان يحتفل بحياة الانسان فيقرر له النظم ، ويرسم له القواعد ويخطو به فى حياته التى يحياها إلى أفق سامية من مجالى الرقى والتحضر .

هذا الدين الذى آمن بالانسان وما كمن فيه من خير وامتياز فكان يخاطبه بالعقل والمنطق . ولم يجعل بينه وبين خالقه واسطة أو حاجزاً أو حائلا .

هذا الدين عندما يقف أمامه الفكر الحر . وعندما يحاول إدراك مغزاه الباحث النزيه وما كان يهدف له من مبادىء ويرمى إلى تحقيقه من مثل عليا لا يتمالك نفسه من أن يقرر فى غير تحفظ بأن هذا الدين كان مكملا فى الحقيقة لما سبقه من أديان سماوية وأن نزوله على بنى البشر كان من دلائل العبقرية والاعجاز للدعوات الالهية .

فالديانة اليهودية لم تحتفل بالإنسانية فى مجموعها ولم تنشد التعاون أو العد
نيها وغيرهم من الناس وإنما جعلت قومها هم شعب الله المختار لهم إمتيازا
ق لغيرهم فى التطلع إليها .

أما الديانة المسيحية فلم تحفل إلا بالناحية الروحية فى الانسان وكا
خص خصائصها هـــذا النظام الكهنوتى الذى استخدم هذا لاستخدا
ب البغيض فلم يعترف بالفرد ولا بالجماعة ولم يؤمن بالعقل ولا بالانسا
حيث هو كائن ممتاز .

أما الاسلام فلن نفسره بأكثر مما قاله مستشرق انجليزى يدين بالمسيحي
الاسلام مدنية كاملة لو وجدنا مقابلا له قلنا العالم المسيحى ولم نقل المسيحية
أو مما قاله جيته الشاعر الالمانى بعد أن ألم بمبادىء الاسلام قال (إذا كان هذ
لاسلام أفلسنا كلنا ندين بالاسلام)

لدين الذى اعترف بما سبقه من أديان سماوية وجاء جامعاً شاملا مليئا بم
ة الانسانية ويتفق مع مقدار ما بلغته من نضج وإدراك من الأنصاف والعدل أن
ل بأنها كانت فى أشد الحاجة إلى مبادئه وما دعاها إليه من رفعة وسمو وامتياز